

كان مقدساً فانه لا يجب على كل انسان . ولذلك استنثت منها الكهنة والراهبات رغبة في الخير العام لانقطاعهم الى الخدمة العمومية . ولا يجب في ذلك فان بعض النفوس يلد لها الاجتماع مع خمسمائة اكثر من الاجتماع مع خمسة اوستة ولذلك ترى العائلة ناقصة مفعجة باردة . فلماذا يجب ان نجعل نظام اجتماعنا الضيق شاملاً للجميع . ان العائلة الحالية لا ترضي الانسان وحدها . بل هو يطلب دائماً اخوة واخوات من غير طريق اللحم والدم وبناءً على ذلك جمعت الطائفة الاولى في تاريخها الاول ضدين غريبين . فمن جهة اطلاق الحرية ومن جهة تقييدها . وقد كانت الانسانية راضية . مرتاحة في هاتين الحالتين . ولكن لما انتشرت المسيحية في اقطار الارض ودخلت فيها ام باسرها صار العمل بنظامها الاول امراً مستحيلاً الا في الاديرة . فالاديرة اذاً ليست الا نعمة للمعيشة المسيحية الاولى . والدير نتيجة ضرورية تلزم عن الديانة المسيحية . لانه لا مسيحية حقيقية الا في الدير حيث لا يمكن العمل بالكمال الانجيلي في مكان سواه

تاريخ العلم في لبنان

لمحضره الكاتب الفاضل الشيخ شاهين المخازن اللبناني

المقالة الثانية

عرف قارئ المقالة السابقة في مدارس لبنان انه ليس بينها مدرسة للفنون والصنائع . وقد شاعت هناك مع ذلك فنون وصنائع وادها الاضطراب كما سيأتي في مطاوي هذا البحث

المحامة والطبابة

انتشرفن المحامة في لبنان بعد ان ادخل فيه نظام العدلية غير ان العدلية سارت سيراً مخفلاً اذ لا يمكن التوفيق من كل الوجوه بينها وبين نظامه المخصوص نظراً الى امتيازاته الاساسية التي لا ينقض شي منها الا بمؤتمر دولي . فكان فن المحامة غير قانوني من وجهين احدهما انه ليس هناك من مدارس شرعية ولا نظامية . ومع ذلك نبغ افراد في لبنان بعلمي الشرع والنظام نبوغاً اطار شهرتهم في بلاد الدولة العلية بما افوا وشرحوا وعربوا ولبعضهم تلامذة بارعون يركن اليهم في مشكلات الابحاث النظامية . ولكن الافراد المشار اليهم وصلوا

الى هذا الحد من علوم الشرائع اما لاخذهم بعض اصولها عن فقهاء غير لبنانيين ثم جدوا في البحث والتحصيل والتتبع واما لانهم حصلوه بالاجتهاد من اوله الى هذه الغاية . وقد احدث دولتلونوم باشا منصرف لبنان السابق شهادة يعطاها بعد الامتحان من يريد احترام المحاماة ولكنها لسوء الحظ اعطيت لاشخاص من بين نائليها علما من الفقه والنظام ما يعلمه طالب السنة الاولى من لغة اجنبية . ولست بمنكر على كثير من رؤساء المحاكم والمحامين تمكنهم من العربية نحواً وبياناً وديعاً وقريباً الى غير ذلك فمنهم الادباء والشعراء والكتبة المجيدون وقد طلبوا الفقه من طريق اللغة غير انهم لم يتجروا له المدات الكافية للتوسع فيه . وكان الخالد الذكر داود باشا قد ابتاع دار الامير قاسم ابن الامير بشير الكبير من ماله ليجعلها مدرسة كلية لبنانية يتلقى فيها اللبنانيون علوم الشرائع والصنائع وغيرها ولكن اسفقاته حالت دون اتمام ذلك الغرض النبيل

وليس في لبنان من حرفة قانونية غير الطبابة على ان اصحابها يتعلمونها في بيروت في الكلية الفرنسية او الاميركانية وكانوا فيما مضى يطلبون الطب في القطر المصري ايام كان لا فرق بين القطرين الشقيقين الا من بعض الوجوه . وقد كثر الاطباء اليوم في لبنان وعددهم يزداد في كل عام لان دارسي الفرنسية والانكليزية لا يجدون عندهم من الصناعات القانونية غير هذه الصناعة اللهم الا الصيدلة فقد اندفع الى اقتباسها المنتهون من الدروس الثانوية . وسينتشر الصيدلة في البلاد انتشار الاطباء فيها وفي كثيرهم رحمة للعباد لا تخفى

المعارف في لبنان ادبية

وقد برع كثير من اللبنانيين بعلوم اخر طابوها في اوربا كالمهندسة والرياضة الا انهم لم يجدوا مجالاً لها في لبنان فغادروه الى حيث يتمكنون من الاشتغال بها فلم يهب سواهم الى الانساء بهم لكساد سوقهم في بلاد الشرق

وقد انشئت في رومه وباريز مدارس للبنانيين ولكنها خست برجال الدين وفي لبنان من متخرجيها اليوم عدد غير قليل من الكتبة والرهبان بينهم محبو الفلسفة والرياضة وغيرها وكانت لهم منذ ٣ قرون مدرسة في رومه اخرجت كثيرين من العلماء

فلقد تبين مما مر امران : الاول منهما هو ان اللبنانيين يطلبون العلم حيثما تسر لهم اخذه فان فاتهم في بلادهم سعوا اليه في بلاد اخرى معها بعدت شقتها ولا يرضون بان يكونوا جهلاء . فان خلا لبنان من صروح العلم في بعض الاحيان فانه لم يخل من العلماء في زمن من الازمان منذ حفل بالسكان . فالمشاهير منه اليوم خلفوا غيرهم من طواهم بطن الارض .

فعلماء التاريخ خلفوا البطريك بواس مسعد والدويهي والامير حيدر وهولاء جاءوا بعد الباني وابن شباط والقلاعي وجاء هولاء بعد غيرهم الى عهد لبنان الاول . وعلماء اللغة تقدمهم الشدياق واليازجي والدحداح . وعلماء الشرائع سبقهم نقولا النقاش والمطران يوحنا حبيب والبطريك يوحنا الحاج والخوري عبدالله العقيقي ومن قارنهم . وعلماء العلوم الاخر كان قبليهم بطرس البستاني بعد السمعاني والحاقلاني . والاطباء خلفوا الاطباء والشعراء الشعراء والخطباء الخطباء وهلم جرا الى آخر عهد لبنان رجوعاً . ولم تنقطع اللغة السريانية التي حلت محلها العربية بل فيها مؤلفون وباحثون الى اليوم كالكفري واضع الغراماطيق المعروف باسمه والقرداجي مؤلف المعجم السرياني الجديد . ولغات الاخرى علماء ايضاً من متفرد بهم المطران نعمة الله الدحداح الذي لم يمت بموته ذكر معارفه الواسعة . وغيره كثيرون احياء لم اذكر احداً منهم لكثرتهم ومنهم من يقيمون في لبنان ومنهم في جواره ومنهم من فصل البحر بين مقامهم وبينه

والامر الثاني هو ان المدارس العديدة نشرت بساط العلم في لبنان كله نشرًا غريبًا فقام على اساس راسخ لم يبق سبيل الى الخوف من تزعزعه بل ان العصر الحاضر سيزيده بتقدمه قوة ومكانة . ولكنه بالعموم لم يزل اساساً يجب البناء عليه . فانك اذا جبت لبنان تجد اللغتين الفرنسية والعربية عامتين النحاء بجميع فروعها وتري بهما الكتابة والشعراء والخطباء فتعود بالدهشة والاستغراب . غير ان هذا كل علمهم فلا علوم اجتماعية هناك ولا يعرف احد منهم ما تحتاج اليه البلاد . فلا تجد هنا فيلسوفاً وهنا مهندساً وهناك رياضياً وهناك حاسباً او صانعاً او اصولياً الخ . بل تجد الكل متساوين بالمعارف الادبية والتفاوت بينهم ان هو الا بالتمكن منها اقل او اكثر . وفاتهم ان اكتفاءهم بها يحول دون ما يرجى منهم من خدمة الوطن لانها لا تزيد عن كونها ادباً واجادة للقراءة والكتابة

ولما كانت معارفهم في مدارس لبنان كلها ادبية انصرف اصحابها الى الاستخدام او التدريس او هجروا الوطن واستحال عليهم العمل في بلاد الدولة لاسباب منها جهلهم لغتها . ومن من القيمين ابت نفوسهم الا الاستقلال انشأ بعضهم المطابع والجرائد فزادوا الوطن صناعتين شريفتين كان لها اعظم تأثير في شؤون الامم الحرة المتمدنة والدول الكبرى الا وهما الطباعة والصحافة

الصحافة والطباعة

وكان داود باشا الجليل المآثر اول موح بهذا العمل الخطير فانشأ مطبعة

وجريدة في بيت الدين مركز الحكومة اللبنانية العام . إلا ان الجريدة صارت الى العدم مع سائر اعمال هذا الرجل العظيمة بعد قدوم خلفه فرنكو باشا واعنيض عنها سيف الشؤن اللبنانية بجريدة حديقة الاخبار التي انشأها في بيروت ذو السعادة خليل افندي الخوري وهي تنشر بالعربية والافرنسية الى اليوم . واول صحيفة ظهرت بعد ذلك بمجلة الصفاء فظلت تبدو حيناً وتغيب احياناً حتى بات لبنان خلواً من الصحف الى عهد واصا باشا . فحدثت في ايامه جريدة لبنان المنشورة اليوم في بعبداء مركز المتصرفية الشتوي واستمرت وحيدة الى ان اتى نعوم باشا فابطلها في اوائل عهده . وكانت بعض الجرائد البيروتية تنشر اعلانات لبنان القضائية . وفي عطائها انشئت جريدة الروضة فظهرت في بعبداء ايضاً واستقلت بالاعلانات المذكورة حتى عادت جريدة لبنان الى الظهور فتقاسمتها . ثم حوّلت مجلة الصفاء الى جريدة اخبارية باسمها وصدرت عن قرية عبيه من قضاء الشوف وهي لم تنزل كذلك الى اليوم . ثم انشئت جريدة الارز في جونية مركز قضاء كسروان وقد رخص اصحابها من زمن غير بعيد ان ينشرها باللغة الفرنسية واطي امتيازاً بمجلة تسمى ضياء الالباب . ثم نزلت مجلة الرئيس الى ميدان الصحافة تصدر عن جونية مرة في الشهر . وآخر الصحف اللبنانية عهداً جريدة النصير تطبع في قرية الحدث المحاذية لبعبداء

وكل هذه الجرائد تصدر مرة في الاسبوع إلا الارز فقد ابتدأت من اول هذا العام ان تظهر كل يوم حسب امتيازها وهي اول جريدة يومية في لبنان والجريدة الرسمية للحكومة اللبنانية بناءً على الاتفاق الذي ابرم بينها وبين دولة المتصرف الجديد . وتمتاز عن سائر الجرائد الرسمية في بلاد الشرق بانها يومية وبان نصفها غير رسمي معدود للانباء العمومية كالجرائد الحرة السيارة . ولكل من هذه الصحف مطبعة خاصة بها إلا مجلة الرئيس . وقد اخذت امتيازاتها من الاستانة العلية إلا الاولى وهي التي انشأها داود باشا فانه قد احدثها بامرهم عملاً بما يوليه اياه امتياز لبنان ولم يتنازل خلفاؤه عن هذا الحق الا لغراض ليس هنا محل النظر فيها

اما المطابع الاخرى الموجودة في بعض الاديار فقد ابطل اكثرها باهمال اصحابها لها لا لسبب آخر . والمعروف منها اليوم مطبعة دير الشرفة التي جددها على الطرز الحديث رئيسه السابق السيد بطرس هبرا مطران الموصل الحالي . ولغبطة السيد افرام رحمانى يد مشكورة في هذا التجديد وهي مخصوصة بمطبوعات الدير وبعض ما قويت علاقته بالطائفة السريانية

ويصدر عن هذه المطابع كل يوم كتب جديدة من اوضاع اللبنانيين وتألّيفهم وتعرّيبهم ولكن بما لا يفيد البلاد كثيراً لاسباب منها تقبيد الطباعة كما سيأتى في الصناعة والزراعة

اما سائر الصناعات اليدوية فكثيرة ولكنها تكتسب من غير علم قانوني بل بالطريق التقليدية فتنتقل من سلف الى خلف بالتمرين وطول المزاولة . ومع ذلك فمنها ما هو منقن . مما يحجب كالحياكة الزوقية فقد اصبحت منسوجاتها تعدّ من النفائس ولا تقلّ قيمة عن اثمن المعاديات وهي لو نشطت لاغنت البلاد عن كثير من صناعات الغريبيين التي من قبلها . والغريبيون انفسهم يتنافسون باقتناء شيء منها ولا عجب فانها من اعزّ ما تزودان به قصور الملوك ومن انفس ما يهدى اليهم . وقد كسدت صناعة المنسوجات الاخرى ايضا في بيت شباب وبكفيا وبسكنتا وغيرها حتى لم يبق فيها جميعاً اليوم ما يزيد على ٦٠٠ نول . وفي هذه القرية صناعة الاجراس والنواقيس وما شاكلها وقد ضارّع بها اصحابها صناعة رومة المشهورة حتى استغنت سوريا كلها من زمن بعيد عن ابتياع الاجراس والصنوج وغيرها من رومة . ولم تنزل هذه الصناعة المهمة محصورة هناك لم تمتدّ الى بلد آخر . وقد انقثت صناعة البناء والتجارة الشرقيتان ايضا وغيرها من الصناعات الوطنية الضرورية ولكن كلها لم تبلغ ما بلغته تربية دود الحرير من النجاح حتى عرف بها لبنان وذلك لان الاكابر والاصاغر اشتهروا بها فلا يستعيب وجهه ولا تستحقّر سيدة نبيلة او مثرية سهر الليالي لاطعام الدود واستثمار فيالجها واستصناع حريرها . ولهذا عمت لبنان منافع هذه الصناعة مع انها فيه بدون علم البتة . وقد ابتدأت اصول بستوران تجرّب في بعض البيوت التي فيها اهل علم وبحث . وكثرت ايضا معامل غزل الحرير في عموم الانحاء اللبنانية وهي تعدّ اليوم بما يربو على المائة وخمسين ممحلاً كبيراً حتى اصبحت صناعة وطنية . وقد اعارها دولة مظفر باشا المتصرف الجديد عنايةً مخصوصةً تذكر له بالشكر والثناء فاحدث لها غرفة في دوائر الحكومة وآلف لجنة تجتمع برئاسة في الاحد الاول من كل شهر للتباحث في امر ترقيةها من جهتي العلم والعمل . اما الزراعة فلم تنزل على الفطرة ولم يدخل اليها بعد شيء من الاصلاح والتقدم . ولبنان الذي يوزّع مياهه على سوريا باجمعها بقيت فيه انهر وينابيع غزيرة مشهورة يذهب اكثرها سدى . وارضيه الظلمى تعطي بلا سقي موسماً وافراً كل عام فكيف بها لو حصلت على ريّ منتظم . وليست كاراضي البلاد الاخرى محتاجة للتربة بل يكفيها القلب والري على ما يعرفه علماء الزراعة وتوزيع الماء في المواعيد المنتظمة فتقبل وتخصب بما لا يبقى وراءه

مطلب لمستزيد . وهي اليوم

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول
وهناك شوؤون اخر كلناهم والمعادن لا تستمر كالاشياء السابقة بغير العلم وهذا ما حملني
على الاشارة اليها في مقام ليس مقامها وقد انتبه اليها دولة المظفر وعلمت انه صارف اليها همة
عالية ولكن لا يقوم بها الا اوريون علماء بهذه الخصائص وليس مثل هذا التدبير على
عزيمته بعزيز

اسباب تاخر المعارف

وبعد هذا الاستطراد اعود الى موضوع المقال مبيناً ما اعتقده يقعد بالعلم في مدارس
لبنان وصحافته وهو يتناول اموراً كثيرة ترى العلم ينهض على الرغم منها ويسير منتشراً غير
حافل بالعقبات الكوؤد التي تعترض طريقه . منها ان الحكومة اللبنانية لم تنشطه بشيء ولم
تعن باحداث مدارس تحت ادارتها فكان خدامها اصحاب النفوذ المستمد من ذوي السيطرة
والتسلط بقوة الوجاهة واتساع الثروة لا بمقدار الاهلية والجدارة . واذا كان في رجالها من
هم على شيء من العلم فانهم لديها لشدة الاضرار اليم اما لسترا الاغراض واما لمقاصد
اخر ليست منها افادة الامة والبلاد . ومن تلك الاسباب ان المنصرفين الى العلم هم في
الغالب غير اصحاب الثراء فاذا وضع او ترجم احدهم كتاباً لا يجد سوقاً يروج فيها واذا
تمكن من جمع مقدار نفقته فيكون من الفائزين . ومنها ان المتعلمين لا ياقون مراكز يشغلونها
فيتادون بوجوب الاصلاح من لا يفقهون له معنى فيعدون من الكافرين او يلجئون الى
المهاجرة فلا يستفيد منهم لبنان شيئاً . ومنها ان المؤلفين لا ينظرون الى شوؤون البلاد ولا
الى حاجاتها بما يؤلفون او بما يترجمون وهذا من اسباب الكساد الذي تصادفه بضاعتهم .
ولا غرو فانهم لم يتعلموا شيئاً منها فيكتبوا فيها وينبها اليها او يعلموا ما يعود بالفائدة عليها .
ومنها ان قادة الامة لا يفهمون الا بالجيوب ولا يفقهون غير الحاصل وكل علم لديهم مختفر
والعالم ذليل مهزوء به . ولا عجب فان من جهل شيئاً احقره او عاداه . ومنها ان ليس في
لبنان مدرسة واحدة وطنية عمومية والمدارس كلها كما رأيت اما اكاديمية لمنفعة رجال
الدين في شوؤون الدين واما خصوصية اقامها افراد على نفقاتهم وكلها على وتيرة واحدة فلا
تنظر الى ما يحتاجه الطالب في بيئته من المعارف ولا الى ما تقتضيه منها المصلحة
العمومية وشروط الوطنية من الدروس الاجتماعية . ولهذا اهمل كثيرون ما تعلموه بل عادوا
العلم واصحابه فعدوا من ذوي البصائر وارتفعوا منزلةً وقدرًا . ومنها ان الرؤساء الروحانيين

واثن كانوا على عكس هذه المبادئ فيما بينهم والعالم منهم شأنه باعتبار اخوانه الا انهم اهتموا الشعب اجمالاً ولم يمدوا له في العلم يداً مسعفة ولا حملوا بالسعي وراء ترقيته مع ما شادوا من المدارس العالية في لبنان وبيروت ورومية وباريز لتهديب الاكابر يكيين وما استندوا من سخاء الحكومات والدول في هذا السبيل . وهم يعلمون الكهنة ولا يوجدون لهم مراكز تسعهم على الافادة بعلومهم فيا تيهيهم العلم بالشقاء ويحرمهم نعيم الاغبياء . وليسوا رهباناً فيعتزلوا ولا عواماً فيشتغلوا بشؤون الحياة الاخر

ومن تلك الشكاكم في فم العلم تقييد الصحافة والطباعة فانها بعد ان كانت حرة ضيقت عليها الدائرة بان احدث لها دولتلو نعيم باشا مراقبة وقتية ناظرًا بذلك الى حادثة عندها حتى لا تسير في طريق النوضى والشلط . ولكن المراقبة اضرت لنموها لان المفيدة بينها قاست منها ما يقاسيه الحر من نكد الدنيا مع انها لم تأت وهي مطلقة امرًا اذًا ولا شطت ولا عمهت الا بعد تكييلها اذ استرسل بعضها في الثناء المرغم والمدح المأمور وذهب في الاطراء والتعليق كل مذهب . ولم يسمح لها ان تحوي صفحاتها ما من شأنه الانهاض والتهديب ولم يكن للتنبيه الى مواضع الخلل في اجابها من نصيب . لان المراقبة سدت دونه المنافذ وقطعت طرق اللياذ الابها وعادت كل حر غير لائذ . وقد بات العقلاء يرجون زوالها لرسوخ الصخف في فن الصحافة فلم يبق محل للغوف من تطرفها لانها اذا تطرفت فلحاكم تسدد خطواتها وتؤمن عثراتها . والناس لا يستسمنون الورم فانهم يخنقون الطعن والطاعن ويمزاون بالملقين وتعليقهم ومعظمهم اليوم يحيد التفريق بين غث الكتابة وسمينها وللحكومة بهم اقوى مسعف في اعلاء شأن الصحف المفيدة

واما اصلاح مناهج التعليم وترويج اسواق العلم في لبنان فان لها طرائق كثيرة يسهل التمشي عليها لورضي اصحاب الشأن . اهمها احدث مدارس وطنية بين عالية ووسطى وابتدائية بالاوقاف العمومية والخصوصية وهي كثيرة جدًا ووافرة الدخل وكلها ذاهبة في سبيل فئات قليلة والعموم محرومون من فوائدها مع انها لم تجعل الا لفائدة العموم . فلو فاز دولة المتصرف الهام بالاتفاق مع الرؤساء الدينيين على تخصيص شيء من ثروات الكرامسي الاسقفية او من اموال الرهبانيات الطائفة التي لا ثقل عن نصف ما تملكه بعض البلاد بنشآت عمومية نقام فيها المدارس العلمية والصناعية المشار اليها لما نقصت تلك الاملاك الواسعة ولا الاموال الطائلة شيئاً ولا مس استقلال رؤساء الاديوار الرهبانية اقل مساس . ولا اظن الوصول الى هذا الغرض الشريف بالامر المستحيل الا اذا لقي عقبة بايها ان تلك

والاموال اوقاف وقد كادت تجهز على ثروة البلاد فلا حول ولا قوة الا بالله . ولكن كيفما كانت الحال لا يصعب الاتفاق مع بعض الاسر التي لديها من الاوقاف الخاصة ما يقوم باعباء مثل هذه الاعمال النبيلة وهي اسر تعودت البذل في سبيل الوطنية فلا تضن بتحقيق نيات الحاكم العادل . ولا اظنها تحجم عن توجيهه تلك الموقوفات التي لا تحسن الانتفاع منها الى انشاء الشبيبة اللبنانية غير نازرة الى المذاهب فيشدو لبنان بنعمتها الى ما شاء الله هذا ما رايت ان اوجه اليه نظر دولتلومظفر باشا في ختام هذه المقالة متعللاً بان انتباه القادرين في لبنان من ذلك السبات الطويل يحببه الى ندائه فيفوز لبنان بالامنية التي لم ترق بلادٌ بدونها الى مرافي العمران ويرتع اهلوه بعد طول الشقاق في ظلال الاخاء والوفاق ويخرجون من ظلمات الجهل الى عالم العلم الصحيح ان شاء الله

صبيٌ حَكَم وصيٌ سيجم

عثرنا في هذا الشهر على رسم لسمو الامير « محمد عبد المنعم » ولي عهد الجناح الخديوي . وبينما كنا نعدّه للطبع عثرنا على رسم آخر لصبيٍّ ملكٍ آخر فضعمناهما معاً في هذه النبعة اما سمو الامير الصغير محمد عبد المنعم فقلما يعرف احدٌ شيئاً عنه . ولكن لو كان البلاط الخديوي في اوربا لما بقي شيءٌ من حركات ولي العهد وسكناته الا وقيدته الصحافة ونشرته كتفكهة لقرائها واستالة لقلوب الجمهور اليه منذ صغره واما الصبي الثاني « جلالة الملك الفونس الثالث عشر ملك اسبانيا » فان جرائد اوربا لم تترك شيئاً من تاريخ حياته الا ونشرته . ولا بأس بنشر شيءٍ منها هنا بلغ الملك الفونس سن الرشد في العام الماضي فاحتفل بتتويجه الاحتفال الذي يذكره القراء . وسن الرشد لانباء الملوك ١٦ سنة مع انه لسواهم ٢١ . فكأنّ المبالغة بتدريهم وتعليمهم تعوض عليهم الخمس سنوات ولقد نشأ الملك الفونس تحت وصاية امه الملكة ماري كريستين وهو يحبها حباً شديداً . واذا اتفق وعصي لها امرأً فانها كانت تقول له انني سابكي اذا لم تفعله . فيفعله بالحال وقد توفي ابوهُ الفونس الثاني عشر وهو في بطن امه . فلما وُلد نودي به ملكاً . وهذا